خاتمـــة

لقد ذاق شاعرنا حافظ ابراهيم من العذاب والفقر ألوانا وصدمته الحياة صدمات عنيفة قتلت طموحه، ومن يستعرض شعره يجد فى كل قـصيدة منه ألما وبؤسا ويأسا وشكوى من الدنيا ومن فيها جعلته يحس بصلة وثيقة بينه وبين البؤساء، وربما ذلك هو الذى دفعه إلى ترجمة البؤساء لفيكتـور هوجو لقد نشأ حافظ فقيرا وظل يشكو الفقر معظم حياته، كما ظل يـسخط على حظه الذى يلازمه ومع ذلك فقد كان الأمل ينبعث دائما مـن خـلال يأسه وروحه المضطربة. كما أن موهبته جعلته يهمل كل شئ فى سبيلها، وجعلت من فقره وسيلة لإذكاء نورها، ففى مدرسة اليـتم والفقـر التـى خرَّجت لمصر الأفذاذ والعباقرة عرفت نفس حافظ معنى الحيـاة والألـم، فأعد نفسه للشعر، وكان له غرام باللفظ لا يقل عن الغرام بالمعنى، وبـدأ يسلك السبل التى أعدها القدر له حيث انطبعت حياة الشعب المصرى فـى نفسه، وأوحت إليه كما أوحى له حب مصر كل شعره، فأخذ يقتحم بشعره كافة الميادين ويحطم ما حوله من الأوهام ويستنهض الهمم، فكان صـوتا قويا لمصر ينشد أغانى الحرية ويترنم باسم الدستور وتـصوير عواطـف المصريين وآلامهم وآمالهم، وفى نفس الوقت يدفع نفوسهم إلـى الفكاهـة والطرب بشعره والحماسة له. فكان حافظ ابراهيم رغـم بؤسـه ظريفـا يضحك جالسه من الأعماق ويسخر من كل شئ حتى من وجـوده، وإلـى جانب ذلك كان سريع البديهة ، وسطا بـين شـعراء الحريـة القوميـة ، وشعراء الحرية الشخصية فليس له فى شعراء عصره نظير فى الجمع بين

الخصلتين والظهور بحالة قومه وحالة نفسه معا فهو شاعر الحياة المصرية بكافة أحوالها، فتحدث عن الأزمات التى مرت بها مصر، كما تحدث عن حياته الشخصية فى هزله وخلجات نفسه بأسلوب يتميز بقوة البلاغة وطلاوة الأسلوب وقد أنصفه أمير الشعراء احمد شوقى بقوله:

وغدا سيذكرك الزمان ولم يزل   للدهر انصاف وحسن جزاء

لقد كان حافظ صادقا فى وطنيته صدقا جعله يعبر عن كل ما يدور فى نفسه خاصة وأنه كان من طبقات الشعب، ومن صميم هذه الطبقات التى سكبت فى روحه روح مصر الخالدة، وجعله القدر قيثارته توحى إليها ربات الشعر، فإذا شعب مصر يتغنى بقصائده، وإذا أرض مصر التى ترعرع عليها تبارك له هذا الشعر الذى مهد النفوس لاستنهاض الهمم فقامت ثورة ١٩١٩، وأدى رسالته فى توضيح ما تنبض به القلوب وتهوى إليه الأفئدة من أمل وألم ، وخوف ورجاء وتوثب للعزة وخشية الانكسار. فتحية إلى الرجل الذى أبدع الشعر السياسى فى اللغة العربية، وكان شاعر مصر الاجتماعى بلا منازع.

وهكذا ساير حافظ ابراهيم النهضة المصرية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى وفاته فى ٢١ يوليو ١٩٣٢ فكان له فيها آثار تشهد بما له من فضل فى النهضة الوطنية والأدبية التى اجتاحت مصر خلال هذه الفترة وتدل على انه كان الأديب المناضل، الفذ والشاعر البليغ الذى جرد من قلمه سيفا شهيره فى وجه أعداء المصريين، ونظم من شعره سهاما طالما كانت قاسية فى صدور المحتلين والغاصبين، لقد كانت حياة حافظ ابراهيم

مليئة بالمشاعر والأحداث التى جعلت منه شاعر البؤس والبؤساء، وشاعر الثورة على الأخلاق وشاعر الانسانية المعذبة، وشاعر الوطنية، وشاعر الاجتماع والشاعر بآلام وأحلام المصريين، وإلى جانب ذلك فقد كانت نفس حافظ فى جوهرها نفسا مصرية تجد بساطتها فى كل أثر من آثار المصريين، فلم لا يحبها الناس ويرون فيها أنفسهم، ولم لا يعجب بها الناس وإنما ينظرون فيها إلى صورهم تعكسها مرآة صافية نقية ومضيئة لا يشوبها صدأ، ولا يغشاها غبار، لقد خالط حافظ الناس جميعا فأصبح هو الناس جميعا فقراء وأغنياء، تراه فى كل بيئة وفى كل مكان تراه فى حديقة الأزبكية يقرض الشعر، وتراه فى الشوارع يماشى أصدقاءه ضاحكا مما يحزن ومما يسر، وتراه بائسا ليرى بؤس الناس من حوله . رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.